

من المهلكات التي حذر منها الشرع

علاج النفس من الكبرياء والخيلاء

الكبر من المهلكات التي لا يخلو أحد من الخلق من شيء منه، فالتفلس البشرية معجونة به، وعلى العاقل الناصح لنفسه إذا شعر بتوجه نار الكبر، إدراكها بالتواضع، وليس ذلك بالمتنى، بل بالمجاهدة، والعالجة، واستعمال الأدوية القامعة التي تزيله، وإزالته فُرض عين، مع دفع العارض من الأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره.

ومما يعين العبد علي اقتلاعه أمور كثيرة، نذكر ما تيسر منها:
- معرفة ذم الله للمتكبرين، كما في مواضع من كتابه: قال تعالى: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق [الأعراف: 146]، وقال - عز وجل - : كذلك نطبع الله على كل قلب متكبر جبارا [غافر: 35]، وقال تعالى: [وَأَسْتَفْخُوا وَآخَافَ كُلَّ غَبَابٍ عَبْدًا [إبراهيم: 15]، وقال تعالى: [إنه لا يثبت المستكبرين [التحل: 23]، وقال تعالى: لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا [الفرقان: 21]، والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحاط بها في ذلك الموضوع.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يطوهم كل شيء من الضفائر، حتى يدخلوا سحبا في جهنم، يقال له: يونس، فقلوهم نار الإنار يسلمون من طينة الخيال عسارة أهل النار))؛ رواه أحمد والترمذي، من حديث عبدالله بن عمرو. وفي الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء)).

وروي البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا)).

وعنه ابن النبی - صلى الله عليه وسلم - قال: ((بينما رجل يجرّ إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجملج في الأرض إلى يوم القيامة))؛ متفق عليه.

الخيلاء: الكبر مع الإعجاب بالنفس، يتجلجل: يتحرك في أعماق الأرض، والتجلجلة الحركة مع الصوت.

وروي مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول الله - عز وجل - : ((العرّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن يئاز عني عذبت)).

ومنها: معرفة أن التواضع هو مجامع حسن الخلق، وهو هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - وهدي خير القرون، والتواضع هو لب الجانب، وعدم الترفع على الناس؛ كما قال - صلى الله عليه وسلم - : ((إن من أحجمك إلى وأقرّكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا))؛ وروي البخاري عن أنس بن مالك قال: ((كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتنتقب به حيث شاءت)).

وروي ابن ماجه عن أبي مسعود قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا فكلّمه، فجعل تردع فرأضه، فقال له: ((هؤن عيالي، فإني لست بمك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد)).

وقال علي بن أبي طالب: «لا ينقص الرجل الكمال من كماله ما حمل من شيء إلى عياله»، وكان أبو عبيدة بن الجراح - وهو أمير - يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام.

وقال ثابت بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة كروان، فقال: أوسع الطريق لأمير يا ابن أبي مالك، فأصبح في ثيابه قال: كاني أنظر إلى عمر - رضي الله عنه - معلقا لحما في يده اليسرى، وفي يده اليمنى الفرة، يدور في الأسواق حتى دخل رحله.

وقال بعضهم: رأيت عليا - رضي الله عنه - قد اشترى لحما بدرهم، فحمله في مشطه، فقلت له: أحمل عتك يا أمير المؤمنين، فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف، وكان يكتب، فناد السراج بطلما، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فاصلحه، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: فأنيته الغلام؛ فقال: هي أول ثومة نامها، فقام وأخذ البيضة وملا المصباح زيتا، فقال الضيف: فمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؛ فقال: ذهب وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء.

ومنها: ترك الفخر من اللباس ولو أحيانا، إذ يظهر من اللباس التكبر والتواضع، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((البذانة - الدون من اللباس - من الإيمان))؛ رواه أبو داود وابن ماجه، حديث أبي أمامة.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((كلوا واشربوا واليسوا وتصعدوا، في غير إسراف ولا مخيلة))؛ أخرجه أبو داود وأحمد، وعلمه البخاري.

وقال ابن عباس: كل ما شئت، وأليس واشرب ما شئت، ما أحفظك انتنان: سرف أو مخيلة.

وروي أحمد وأبو داود: أن رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمد ناقة له، فقال: إني لم أتك زائرا، إنما أتيتك لحديث بلغني عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجوت أن يكون عندك منه علم، فراه شعفا فقال: ما لي أراك شعفا، وأنت أمير البلد؟ قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتهانا عن كثير من الإفراد، وراه خافيا؛ فقال: ما لي أراك خافيا؟ قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نحكي أحيانا.

وقال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خرج إلى السوق ويديه الدرة، وعليه إزار فيه أربع عشرة رقة، بعضها من آدم، وعتوب علي في إزار مرفوع، فقال: يفتدي به المؤمن ويخشع له القلب.

وقال طلاس: إني لأسأل نوبتي هذين، فانكر قلبي ما داما تقيين؛ ومنها: أن يذكر الإنسان النعم التي أنعم الله بها عليه، وأن من شكرها أن يتواضع، وأن يحقر نفسه، ولا يتكبر على إخوانه ويترفع عليهم؛ فالتكبر يدعو إلى الظلم والكتب وعدم الإنصاف في القول والعمل، يرى نفسه فوق أخيه؛ إما خال، وإما لشاهد، وإما لوليفة، وإما لنسب، وإما لأشياء متومة؛ ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - : ((الكبر ينظر الحق



وغَطَمَ النَّاسُ))؛ يعني: رد الحق إذا خالف هواه، هذا تكبر، وغَطَمَ الناس: احتقار الناس إبراهيم دونه، وإنهم ليسوا جديرين بأن يصفهم، أو يبداهم بالسلام، أو يجيب دعوتهم، أو ما أشبه ذلك.

ومنها: ترك غلبة التكبر والغرور؛ فلي «يصبح مسلم» عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: رواه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)).

ومنها: صحة الصالحات للتواضعات للمتسكّات؛ فالطبايع سَرَقة، قال أبو حامد الغزالي في «الإحياء»: «الغام الأول في استئصال أصله - الكبر - وعلاجه علمي وعمل، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما، أما العلمي: فهو أن يعرف نفسه، ويعرف ربه تعالى، وبكيفية ذلك في إزالة الكبر، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل دليل، وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهابة، وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله.

أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه بطول، وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول، ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة، وبكيفية أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله، فإن في القرآن علم الأولين والآخرين كن فتح بصيرته، وقد قال تعالى: [قتل الإنسان ما أكفره × من أي شيء خلقه × من نطفة خلقه ففطرة × ثم السبيل ينشّره × ثم أماته فأقبره × ثم إذا شاء أنشره [عبس: 17 - 22]، فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان، وإلى آخر أمره، وإلى وسطه، فينبظر الإنسان ذلك ليعلم معنى هذه الآية.

أما أول الإنسان، فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا، وقد كان في حيز العدم دهورا، بل لم يكن لعدمه أول، وإي شيء أخس وأقل من الحو والعدم، وقد كان كذلك في العدم، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء، ثم من أقرها، إذ قد خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعلة عيقفا، ثم كسا العظم لحما، فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا، فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أحسن الأوصاف والتعوت؛ إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا، بل خلقه جمادا ميتا، لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، ولا ينطق ولا يبذلش، ولا يدرك ولا يعلم، فإذا يموته قبل حياته، وبضغفه قبل قوته، ويجهله قبل علمه، ويعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وبكتمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبظلمه قبل غيائه، ويعجزه قبل قدرته؛ فهذا معنى قوله: [من أي شيء خلقه × من نطفة خلقه ففطرة [عبس: 18 - 19]، ومعنى قوله: [أهل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا × [إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه [الإنسان: 2، 1]، كذلك خلقه أولا ثم أنشأ عليه، فقال: [ثم السبيل ينشّره [عبس: 20]، وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت، وكذلك قال: [من نطفة أمشاج نبتليه فجعتاه سميعا بصيرا × [إنّا هدّينا السبيل إنا شاكرًا وإنّا كفورًا [الإنسان: 2، 3]، ومعناه أنه

القدوة الحسنة...سبيل لإصلاح المجتمعات

يعاني بعض الأشخاص من وجود الفراغ العاطفي أو الروحي أو الافتقار إلى الاهتمام، مما يجعله يتنقل للبحث عن شخصيات لعقدي بها، فإما يكون ذا حظ وقير فيختار القدوة الحسنة، أو ذا حظ عائر فيفتدي بالقدوة السيئة أو غير الصالحة. واختيار القدوة الحسنة تقتضي الاقتداء بمن هم يعتازون بالأخلاق الفاضلة وأصحاب العلم والفكر والدين، حيث إن الاقتداء غالبا ما يكون لديه حب وإعجاب بالشخص الذي يقتدي به فيصعب كالتمايع له. لقد حدث الإسلام علي بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) فهو القدوة الحسنة للمسلمين في جميع وجهات حياتهم، فالتأسي بالنبوي يؤدي بالمسلم إلى دخول الجنة وكسب رضي الله تعالى، بينما الاقتداء والتأسي بمن غير النبي صلى الله عليه وسلم وبخالفونه فلا يحصل من يقتدي بهم إلا الخسران في الدنيا والآخرة والخلود في نار جهنم. لذلك فعلي الأسرة توعية أبنائها وهم في سن المراهقة حول كيفية اختيار من يقتدون بهم، لأنه وللاسف نرى الآن الراعدين والشباب يتخذون من بعض الممثلين والمغنيين وبعض الشخصيات الفاسدة قدوة لهم ويلقدونها في كل شيء؛ في طريقة الملابس وفي التصرفات والحركات حتى لو كانت هذه الأمور خاطئة، لأن أنهم يكونون في حالة لا يسمعون لأي نصيحة قد يقدمها لهم من هم أكبر منهم. كما أن على الوالدين أن يكونا هما القدوة الحسنة لأبنائهما وذلك بال التزام الأخلاق الفاضلة مثل الصدق والإحسان إلى الناس ومساعدتهم، فهما الشخصيتان اللتان تؤثران في الطفل منذ بداية نشأته، فكيف يمكن لمن يشاهد والديه يكتدان أو يتصرفان بطرق غير جيدة أن يبحث عن بطلون الصفات الجيدة، أهمية القدوة الحسنة في حياة المسلم الارتقاء بأخلاق المسلم وأتباعه للسلوكيات الجيدة التي تتوافق مع الفطرة الربانية ومع مبادئ الدين الإسلامي. النهوض بالمجتمع وبالأمة بشكل إيجابي؛ لأن جمع أفرادها يتصفون بالأخلاق العالية والسلوكيات الإيجابية. حماية المجتمع من انتشار الأخلاق غير الجيدة والسلوكيات السلبية، مما يقلل من انتشار الفساد، وهذا يؤدي بدوره إلى شعور الفرد بالأمن والاستقرار الذي يقود بدوره إلى زيادة قدرة الفرد الإنتاجية



إشراف : ياسر السيد

العدد 2544 - السنة التاسعة

الثلاثاء 13 ذي القعدة 1437 - الموافق 16 أغسطس 2016

Tuesday 16 August 2016 - No.2544 - 9th Year

وربما تكون حياته فيه، يستكة الأطعمة وتلكه وترديه، ويستشع الأودية وهي تنفعه وتجيبه، ولا يامن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره، وتلقج أعضاؤه، ويختلس عقله، ويختطف روحه، ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل، إن ترك نقي، وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه، ولا شيء من غيره، فأني شيء أذل منه لو عرف نفسه؟ وأني يليق الكبر به لو أجهله؟ فهذا أوسد أحواله فليتأملته.

وأما آخره ومورده، فهو الموت للمشار إليه بقوله - تعالى - : [ثم أماته فأقبره × ثم إذا شاء أنشره [عبس: 21 - 22]، ومعناه أنه يسلب روحه، وسعفه وبصره، وعلمه وقدرته، وحسه وإدراكه، وحركته، فيعود جمادا كما كان أول مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة مُنَمَّتة قدرة، كما كان في الأول نطفة مَذْرَءة، ثم تبلى أعضاؤه، وتفتت أجزاءه، وتخر عظامه، ويصير رميا رُفَاتا. ويأكل الدود أجزاءه، فيبتدى بحدثه فيلغهما، ويخديه فيطعمهما، ويسائر أجزائه فيصير زوئا في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان، ويهرب منه لشدة الإنتان. وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان، فيصير ترابا يعمل منه الكيزان، ويعمل منه البنيان، فيصير ملفوفا بعد أن كان موجودا، وصار كان لم يكن بالأمس حبسيدا كما كان في أول أمره أمدا مبدئا، ولينته بقي كذلك، فما أحسنه لو ترك ترابا؟ لا بل يحبيه بعد طول البلى؛ ليفاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى احوال القيامة، فينظر إلى قبابة قائمة، وسماء مشقة ممزقة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة، ونجوم منكثرة، وشمس منكسفة، وأحوال مظلمة، وملائكة غلاظت شداد، وجهنم تزلزل، وجنة ينظر إليها المجرم فينتحسر، ويرى ضحائف مشورة، فيقال له: اقرأ كتابك، فيقول: وما هو؟ فيقال: كان قد وكل بك - في حياتك التي كنت تفرح بها، وتتكبر بتعبيها، وتفتخر بأسبابها - ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعلمه من قليل وكثير، وتقر وتطمير، وأكل وشرب، وقيام وقعود، قد نسبت ذلك وأحصاه الله عليك، فهُلِّم إلى الحساب، واستعد للجواب، أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فرعا من مول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة، ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده، قال: أيا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يُغَايِرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أخصاها [الكهف: 49]؛

فهذا آخر أمره، وهو معنى قوله - تعالى - : [ثم إذا شاء أنشره [عبس: 22]، فما لمن هذا حاله والتكير والتعظم؟ بل ماله وللرح في لحظة واحدة؟ فضلا عن البطر والأشر، لقد ظهر له أول حاله ووسطه، ولو ظهر آخره - والعباد بالله تعالى - ربما اختار أن يكون كلبا، أو خنزيرا؛ ليصير مع البهائم ترابا، ولا يكون إنسانا يسمع خطايا، أو يلقى عذابه، وإن كان عند الله مستحقا للثأر، فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع؛ إذ أوله القراب وآخره القراب، وهو يعزل عن الحساب والعذاب، والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق، ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار، لصعدوا من وحشة خلقته وغبص صورته، ولو وجدوا ريحه لماثوا من نتنت، ولو وقعت فطرة من شرابه الذي ينشئ منه في بحار الدنيا، لصارت أتى من الجيفة، فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وكيف أتى شك من العفو، كيف يفرح وبيطر؟ وكيف يتكبر ويتجبر؟ وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا؟ وأي عبد لم يذنب ذنباً استحق به العقوبة، إلا أن يعفو الله الكريم بفضله، ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه؛ ذلك لكرمه وحسن الخلق به، ولا قوة إلا بالله، أرايت من جنى على بعض للووك؟ فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط، فحبس إلى السجن، وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض، وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق، وليس يدري أيغلي علم لا، كيف يكون ذلك في السجن؟ أفترى أنه يتكبر على من في السجن؟ وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه، وقد استحق العقوبة من الله - تعالى - ولا يبري كيف يكون آخر أمره، فيكفيه ذلك حزنا وخوفا، وإشفاقا ومهابة، ولذا، فهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر.

وأما العلاج العملي، فهو التواضع لله بالعلم، ولنسان الخلق بالمواقفة على أخلاق المتواضعين، كما وصفناه وكتبناه من أحوال الصالحين، ومن أحوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أنه كان يأكل على الأرض ويقول: ((إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد))، وقيل لسلمان؛ لم لا تلبس ثوبا جديدا؟ فقال: إنما أنا عبد، فإذا اعتقت يوما لبست جديدا، أشار به إلى العتق في الآخرة، ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل،،

أما الأمن من مكر الله، فمن أمراض القلب الواجب قلعه، فإسلم لا ينبغي أن يكون أمنا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفا وجلا أن يسلب منه، حيث يستدرجهم الله من حيث لا يعمون، ويعلي لهم، إن كبده متين؛ ولذلك كان أكثر دعاء سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - : ((يا ملقب القلوب ثبت قلبي على دينك))، مع العمل والسعي لكل ما يخلصه من ذلك، قال تعالى: [الأمينوا مكر الله فلا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون [الأعراف: 99]،

أما احتقار للمذنبين، فعلاجه التاجع أن تتذكرى أن الله - تعالى - هو الذي من عليك بالطاعة، ووفّقك لها، بل إن معتقد أهل السنة أن افعال العباد كلها مخلوقة لله، وإنه لو شاء لتركك لنفسك الإمارة بالسوء؛ قال - تعالى - : [والله خلقكم وما تكملون [الصفات: 96]، وقال - سبحانه - : [ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك [النساء: 79]، وقال أما يكمن من نعمته فمن الله ثم إذا نسكّم لضّر فإنه تجاؤون [الشحل: 53]،

فينبغي لك إذا أحسست بميل لاتباع الهوى، أن تتذكرى عظيم منته الله عليك، وتتذكرى قديم حالك؛ كما قال تعالى: [كذلك ننقم من قبل فمن الله عليكم [النساء: 94]، ولتكوني على حذر ووجل من الجور بعد القور، والغني بعد الرشد؛ وتتذكرى قوله تعالى: [ربنا لا ترغ قلوبنا بقدر إذ هدّيتنا وجه لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب [آل عمران: 8]

دعاء

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْجُوعِ، وَالْهَرَمِ، وَالْغَلَةِ الرَّجَالِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَبِزَلِّ السَّاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَضَمَانَةِ الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَائِدَتِكَ، وَفَجَاءَةِ يَمْنِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ